

خبراء وأطباء وإعلاميون يجمعهم بحكم التخصص الاهتمام بالتطورات المتلاحقة في مجال بالغ الحداثة وبالغ الأهمية أيضاً. بعضهم جاءت مشاركتهم آتية وبماشرة رغم إقامتهم في بلدان تفصلها آلاف الأميال عن مقر انعقاد الورشة. لتكون المشاركة تطبيقاً عملياً لجوهر الدورة التدريبية الماتصال والتعليم الطبي عن بُعد.

عبارات موجزة افتتح بها الدكتور نجيب المشورجي منسق إدارة المعرفيات وتبادلها بمنظمة الصحة العالمية المورشة العملية - ملقياً من خالها ضوءاً كثيفاً على تلك الآفاق باللغة المرحابة التي صارت متاحة بحكم تقنيات الماتصال وتبادل المعرفيات والعلوم - لاسيما المصحية - عن بُعد ومقدماً عقبها الدكتور عصام العريان مثل نقابة الأطباء المصريين في عرض تقني عن الأخلاقيات الطبية من منظور إسلامي

مدحش ما استعرضه الدكتور عصام العريان من بُعد تاريخي لأخلاقيات الطب منذ نحو ألفي وخمسمئة عام وتحديداً منذ عهد العلامة أبو قراط الذي إليه ينتمي قسم الأطباء المعروف. ومدحش أيضاً أن يستشعر الحاضرون تلك الرابطة والتلاحم بين هذه الأخلاقيات التي عرفتها البشرية منذ عهد سحيق وبين ما جاءت به الأديان من حث على اتباع الأخلاقيات نفسها. وحتى عصرنا هذا. فحسبن المخلق والمذكاء والأمانة واحترام خصوصية المريض وعدم إفشاء سره والمكافأة المهنية، بل والنظافة وحسن الملبس وتغليب الأبعداد الإنسانية على المكاسب المادية كلها أمور اجتمع عليها كل من تصدى لتقنين أخلاقيات مهنة الطب. وكأنها فطرة إنسانية لا يمكن المخدود عنها، ليثور المسؤول المخالد. ما أروع التنظير بما بال التطبيق؟

أشكاليات...

إلى صلب المورشة العملية ينتقل العرض التقني للدكتور عصام العريان متذوقاً إيجابيات وسلبيات التطبيق عن بُعد أو الصحة الإلكترونية. وإذا كانت الإيجابيات عديدة ولا يمكن حصرها، وإن كان يمكن الاتفاق على أن جوهرها هو طي المسافات التي ظالماً أهاقت في السابق فرصة التبادل الميسير والسرعى للمعارف أو حرمت مريضاً من فرص العلاج بسبب الفاصل المكاني، فإن السلبيات لا يُستهان بها أيضاً وأهمها غلبة المفهوم الخاطئ بأن التطبيق عن بُعد يعني عن ما لا غنى عنه أي مناظرة الطبيب لمرضاه وصولاً إلى التشخيص السليم الذي هو أساس العلاج الناجع. إنها إشكالية الإعلام الصحي في مجمله - كما يقول الدكتور العريان - حيث أصبحنا إزاء حالة تشخيص عن بُعد يقترب خالها الطبيب عدة بدائل تشخيصية ينتقي منها المريض ما يناسبه في عملية تبادل غريب للأدوار.

الحل هو تفعيل الأخلاقيات التي تجعل المناظرة أمراً لا بديل له وتحديد الحالات التي تصلح فيها تطبيقات التطبيق عن بُعد.

ما الذي يمكن للترجمة أن تقدمه في مجال الصحة الإلكترونية؟ إن الترجمة هي أحد الروافد الأساسية لتحصيل المعارف الحديثة ومساعدة أي مجتمع على مواكبة ما يدور في العالم.

وعلى مر العصور كان للترجمة في العالم العربي والإسلامي شأن كبير ساهم في انتشار العلوم والحضارات وترافق المجتمع الإنساني بأكمله. وشأن مجالات عديدة - مرت الترجمة بمراحل تراجع في منطقتنا العربية والإسلامية حرمت شعوبها من التواصل الدقيق مع متوجهات المعارف العالمية. وهي تعود الآن لستلمس خطاه في ظل احتياج متزايد لفض إشكاليات عديدة يتعلق بعضها بدور المترجم وهل هو مجرد ذاقل للنصوص أم قائم على بوابة المِقِيم والأخلاقيات لمجتمعه، ولاسيما ما في ظل ما يعرف بالغزو الثقافي، وإشكاليات أخرى تتعلق بكم المترجمات ونوعيتها، وانتقاء المعارف.

**وللترجمة** - كما يوضح العرض التقني الذي قدمته المسيدة غادة الشربيني - المترجمة بمنظمة الصحة العالمية - إشكاليات أخرى تتعلق بحيرة المترجمين أمام التفضيل بين المُبُعد الأخلاقي والمالتزام بحرفية النص.

إذا كان المُبُعد الأخلاقي يحول دون نقل معلومة تسيء لقيم المجتمع، أو نقل أنماط سلوكيّة مستنكرة كما يرفض التغريب وتقويض المقومات الحضارية. فإن المالتزام بحرفية النص تحمي حق المؤلف الحصري في التغيير وتحمي النص الأصلي من المانهال.

ويشير العرض التقني إلى اختلاف خصائص اللغات المنقول منها والمنقول إليها ودوره في انتقاء أساليب المترجمة والتصرّف الملغوي وفقاً للسوق الثقافي والاجتماعي والسياسي.

ومن خلال تساؤلات مثل: هل المترجم في موقع يمكنه من القيام بترويجه النص المترجم لضمان المقبولية ومراعاة الاعتبارات المجتمعية؟

وهل يجوز أن يرفض المترجم المِقِيم الثقافية للنص الأصلي؟

تقترن المسيدة غادة الشربيني الموصول إلى منهج وسيط يحترم مقومات الثقافة العربية المراسخة، ويحقق التوازن بين الجديد والمتأصل ويتفادى الانغماس والأنصار المطلق على روح النص الأصلي.

ثم تنتقل ورشة العمل إلى بُعد آخر من خلال عرض بعنوان:

((الاستشارات الصحية على الإنترنت في العالم العربي: دراسة حالة لموقع إسلام أون لاين)).

ثمانية ملابس مستخدم لشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) في العالم العربي. السبب الرئيسي لمحاولتهم هو البحث عن المعلومة، وفي مقدمتها المعلومة الصحية التي يسعى وراءها 40% من مستخدمي الإنترنت.

بهذه المقدمة بدأت الدكتورة نادية العوضي مديرية موقع إسلام أون لاين عرضها التقني عن الاستشارات الصحية التي باتت تحتل موقعاً فريداً تكشف عنه محركات البحث الرئيسية مثل ((ياهو)) و((جوجل)).

قد لا يكون عدد مستخدمي الإنترنت العرب كثيراً مقارنة بالمستخدمين العالميين (800 مليون)، ولكن هذا لم يمنع أن يحتل موقعاً عربياً هو إسلام أون لاين، مكانة رفيعة بين المواقع التي يستهدفها المستخدمون بحثاً عن المعلومة الصحية حيث يحتل المرتبة الرابعة عشرة بين 250 ألف نتيجة عند البحث عن الصحة على محرك «جوجل».

هل يعني ذلك الإقبال أن المعلومة الصحية المستقاة من الإنترنت والتي تشكل أحد محاور المصححة الإلكترونية هي الأفضل؟

قائمة السلبيات التي تستعرضها الدكتورة العوضي للصحة الإلكترونية لا تؤكّد ذلك. فالعلومة الصحية قد لا تتوافر على الإنترنت، وإن توافرت فقد لا تتناسب بالدقة الكافية، أو قد يصعب على المستخدم الوصول إليها. ثم إن المسربة في تداول المعلومات الصحية الخاصة غير مضمونة.

لعل هذا ما حدا بالمختصين إلى تدشين ميثاق أخلاقيات الصحة الإلكترونية بقيمته الثمانية: الصراحة والأمانة والجودة والموافقة المبنية على المعلومة الكاملة والسرية والمهنية العالمية والمشاركة المسؤولة وتحمّل المسؤولية.

ومن هذا الميثاق استقرت صفحة استشارات صحية النهج الذي تسير عليه، والذي يقوم أكثر ما يقوم على حقيقة أن الخدمة ليست بديلاً عن زيارة الطبيب، وأن الأساس هو زيادة الوعي بالمفهوم السليم للصحة، فضلاً عن بساطة المصطلحات وإضافة الرأي الشرعي حين يكون ذلك مناسباً، والتوافق مع الأخلاقيات التي وضعتها منظمة الصحة العالمية للصحة الإلكترونية.

ما يؤكّد المعرض التقني بعد استعراض تفاصيل عملية الاستشارة الصحية على الإنترنت هو الحاجة إلى المزيد من البحث عن تأثيرات الاستشارات الصحية على صحة المستخدمين العرب وعلى علاقة الطبيب بمريضه. وعلاقة الأطباء بشبكة الإنترنت.

البحوث الصحية...

ماذا عن دور المبحوث في إنتاج المعرفة واستخدامها إلكترونياً؟ وماذا عن أخلاقيات المبحوث المصححة والمطبية؟

كان لهذين السؤالين مكانهما في الورشة العملية من خلال ورقة بحث قدمها الدكتور علاء أبو زيد المسؤول بوحدة سياسات المبحوث والتعاون بمنظمة الصحة العالمية.

انطلاقاً من تعريف البحث العلمي على أنه «تحريات منتظمة صُممَت لإنتاج معلومات يمكن تعميمها» أكد الدكتور أبو زيد العلاقة الوطيدة بين المبحوث والمصحة الإلكترونية. فالقطاع الصحي قطاع تحركه المعلومات والمبحوث وسيلة مثالية لتحصيل المعلومات عن انتشار الأمراض وأسبابه وطرق الوقاية منها وسبل الارتقاء بالصحة إلى آخر قائمة المعرفة التي تتيحها المبحوث المصححة وتكتسب منها أهميتها.

وإذا كان تاريخ المبحوث المصححة يعود إلى زهاء 25 قرناً من الزمان، فإن العالم ظل إلى سنوات قليلة مضية بحاجة إلى تجديد المعايير الأخلاقية للمبحوث المطبية، وكان آخرها تحديث إعلان هلسنكي عام 2002 ليؤكد على إعطاء الأولوية لسلامة الفرد على إثراء العلم والمعرفة، والحصول كتابياً على الموافقة المستنيرة من المتقطوعين ومراجعة البحث قبل إجرائه بواسطة لجنة متخصصة في أخلاقيات البحث، هذا فضلاً عن مسؤوليات الطبيب الباحث المتعلقة بتحري الدقة العلمية وحماية خصوصية المتقطوعين ومراعاة مصلحتهم والمزامن المعايير العلمية.

دستور الصحة الإلكترونية...

كان خاتم الدورة التدريبية عرضًا تقنياً حول دستور أخلاقيات الصحة الإلكترونية للدكتور نجيب المشوريجي. قدم من خلاله المرؤية المحددة للغرض من هذا الدستور والمتمثلة في أن يتبيّن الناس ما يمكن أن تفعله الإنترن特 في مجال تدبير شؤون صحتهم وصحة من يتولون رعايتهم والمعنية بهم، وذلك في ضوء فهمهم العميق لطبيعة المخاطر التي تحيق بهم.

وإذا كان هذا شأن «المتلقيين» فإن شأن المنظمات والأفراد الذين يقدمون المعلومات المصححة عبر الإنترن特 كما يشير الدكتور المشوريجي هو أن يلتزموا بالمعايير المنظمة لأفضل الممارسات المتّبعة في التعامل مع الإنترن特، وأن تكون المادة التي يقدمونها جيدة المضمون رفيعة المستوى.

وهو يشير إلى المعلومات والمنتجات والخدمات المصححة كأنواع لما يتم تبادله عبر شبكة الإنترن特 في مجال الصحة، ويؤكد أنه في كل الأحوال لابد من التحلّي بالقيم والمبادئ المتعلقة بالصدق والإخلاص والأمانة والجودة، من خلال عرض المعلومات المصححة الدقيقة السهلة الفهم والمحببة، وتقديم المعلومات التي يحتاج إليها المستفيدين في إصدار أحكامهم الخاصة حول المعلومات أو المنتجات أو الخدمات المصححة التي يقدمها الموقع، والحصول على الموافقة المستنيرة المبنية على الاطلاع على الحقائق والمخاطر المحتملة، واحترام حق المستفيدين في اتخاذ قرار فيما إذا كان جمع معطياتهم الشخصية أو استعمالها أو مشاطرتها للأخرين مسماً وحشاً، واحترام خصوصية المنتفع.

مبادئ أخرى باللغة الأهمية يطرحها المعرض التقني للأستاذ نجيب المشور بجي مثل الماحتراف في مجال تقديم الرعاية الصحية الإلكترونية الفورية بكل ما يشتمل عليه معنى الماحتراف من التزام بالمعايير الأخلاقية المحاكمة للمهنة، وعدم إحداث الضرر، وتقديم مصالح المرضى على ما عادها، وحفظ أسرارهم، وإحاطة المرضى علمًا بحدود الرعاية الصحية الإلكترونية الفورية والتعريف بها.

ويضيف مبادئ أخرى للصحة الإلكترونية لما تقل أهمية مثل الموصفات الدقيقة للعوائق التي تحد من قيمة التشخيص الإلكتروني الفوري ومن صحة إعطاء توصيات المعالجة الإلكترونية الفورية، والمشاركة المبنية على تحمل المسؤولية من خلال التعامل مع جهات وأفراد جديرين بالثقة ويتمتعون بالمعايير الأخلاقية المتفق عليها، وأخيراً المحاسبة من خلال حرص المواقع التي تقدم المعلومات والمنتجات والخدمات الصحية على إتاحة فرصة جيدة للمستفيدين كي يزودوا المواقع بالمعلومات الراجعة التي تفيد في تقييم الخدمات المقدمة وقياس جودتها، والالتزام المعاشرة الممارسة الإلكترونية للخدمات الصحية.

وأختتمت الدورة التدريبية بمناقشة مستفيض حول دستور عربي لأخلاقيات الصحة الإلكترونية، وتعهد المشاركون بالعمل على إصداره في وقت قريب، وعلى فتح مجال للنقاش الموسّع للدستور المقترن لكي يغطي كافة المجالات، ويجب على كافة المسؤوليات.

Wednesday 10th of April 2024 09:51:09 PM